المحاضرة الرابعة: مدارس الدراسات الثقافية

ساهمت مجموعة من التغيرات التي عرفها المشهد السياسي في العالم بالاضافة الى التراكمات المعرفية والفلسفية في ظهور مدرسة بيرمنغهام بالإضافة إلى ترسبات وتراكمات فلسفية ومعرفية واكبت القرن العشرين ، خصوصا مع انتشار مفاهيم ما بعد الحداثة التي فتحت أفقا معرفيا جديدا في مقاربة مختلف الظواهر الحضارية الإنسانية، والتي ربط أعلامها بين مختلف العلوم والمعارف وعلاقتها المباشرة وغير المباشرة بالثقافة على اختلاف مصادرها وأشكالها وذلك حفاظا على مركزية هذه الثقافات واستمرارية حضاراتها التي منحت التفوق لكفة الغربيين، وهكذا تشكلت هذه الدراسات الثقافية ضمن معطيات تاريخية واجتماعية وسياسية وحتى فكرية.

ويرجح الباحثون ظهور الدراسات الثقافية في نهاية الحرب العالمية الأولى، لكنها نمت بشكل كبير إبان النهضة الأوروبية، ولقد لعبَ مركز الدراسات الثقافية المعاصرة بجامعة برمنجهام الذي تأسَّس عام 1964، دورًا رياديًا في تبوأ الدراسات الثقافية موقعًا متميزًا في خريطة التفكير الإنساني، حينَ شرعَ عام 1971 في نشر أوراق بحثية في الدراسات الثقافية، فضلًا عن كتابات بعض الباحثين في مدرسة فرانكفورت حول البُنى الفوقية للثقافة وعلاقتها بالقاعدة الاقتصادية متأثرةً بأنماط التنظير عند الماركسية، وواضح أن كلا المدرستين كان لهما الأثر البالغ في تشكل الإرهاصات الأولى للدراسات الثقافية، وتُعتبر كتابات ريموند ويليامز [1921-1888]، ريتشارد هوغارت، ستيوارت هول، إدوارد طومسون، تيري إيغلتون، ديفيد مورلي، كليفورد غيرتز، إدوارد سعيد، وغيرها نصوصًا مُؤَسِّسَة لإبدالات هذا "الوحش.

1-مدرسة برمنجهام:

وتعدّ مدرسة برمنجهام الإنجليزية من ضمن أهم المدارس النقدية والمعرفية، التي كان لها تأثير فاعل في الساحة النقدية العالمية.حيث كانت من مؤسسي هذا النوع من الدراسات حيث اسستنشروع علمي ومعرفي ونقدي متميز على الراغم من لانتقادات لتي تعرضت لها، وزاادتها قوة ومناعة من قبل كبار النقاد والمفكرين، وهذا المشروع العلمي الذي أفصح فيه أصحابه في كتبهم المختلفة، استطاع أن يقدم رؤية معرفية جديدة في قراءة الخطابات الثقافية، على ضوء مجموعة من الاستراتيجيات والاليات التي تسهل على الباحث فهم الظواهر الثقافية والاجتماعية والسياسية والانسانية وتقديم رؤية جديدة تعمل على استشراف المستقبل.

وقد ادت عدة عوامل الى تأسيس مدرسة فرانكفورت منها وجود ثقافة الطبقة العاملة التي تحاول هذه المدرسة المحافظة عليها ضد سيطرة الجماهيرية التي تنتجها الصناعة الثقافية وهي تركز على ارتباط الإنتاج الثقافي والإعلامي المعاصر لمصالح المؤسسات الصناعية و الفاشية في البلدان الغربية.

وتمحور نشاطات المدرسة نشاطاته حول دراسة وتحليل الواقع الثقافي لعامّة الناس، والبحوث العلميّة التي تجرى في رحابه واسعة النطاق من حيث الآراء ومناهج البحث العلمي والأساليب النقدية، وهي قاطبةً ترتكز بشكلٍ أساسيٍّ على تحليل شتّى الشؤون الثقافيّة في المجتمعات البشرية.

وتتبنّى مبادئَ معرفيّةً وفلسفيّةً متنوّعةً، ولكن على الرغم من ذلك هناك بعض المؤاخذات التي ترد على نشاطاته العلميّة، لذا تقتضي الضرورة إجراء دراساتٍ وبحوثٍ نقديّةٍ بخصوص نقاط الضعف الكامنة فيه وإعادة التفكير في قضايا الإيديولوجيا والهيمنة .